" الصدق "

إن الله خلق السموات والأرض بالحق ، وطلب إلى الناس أن يبنوا حياتهم على الحق ، فلا يقولوا إلاَّ حقاً ، ولا يعملوا إلاَّ حقاً ، وحيرة البشر وشقوتهم راجعة إلى ذهولهم عن الحق والصدق ، ولذا كان التمسك بالصدق في كل أمر من أمور الحياة ، وفي كل قصة من القضايا واجب على كل مسلم ومسلمة ، وركيزةً من ركائز الإيمان وركن ركين في خُلُق المسلم الذى يأمر به القرآن الكريم . يقول رسول الله - ﷺ -:" إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث " (١) .

وقال - عليه الصلاة والسلام - : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة " (٢) .

قد نهى القرآن الكريم على أقوام جريهم وراء الظنون التى ملأت عقولهم وقلوبهم ، وأفئدتهم بالخرافات ، وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب . قال تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة النجم:٢٣]وفي قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة يونس:٣٦]وقوله تعالى :- ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة النجم:٢٨]

ولذا نرى الإسلام حارب وطارد الكذابين ، كما أنه شدد النكير عليهم ، فعن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – قالت :" ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله - ﷺ - من الكذب ، اطلع على أحد من ذلك فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة " (٣) .

وعن عائشة – رضى الله عنها – أيضا ، " ما كان خلق أبغض إلى رسول الله - ﷺ - من الكذب ولقد كان الرجل يكذب عنده الكذبة ، فما يزال فى نفسه حتى يعلم أنه أحدث فيها توبه " (٤) .

ولا غروفإن السلف الصالح كانوا يتلاقون على الفضائل ، وكانت المعالم الأولى للجماعة المسلمة صدق الحديث ، ودقة الأداء ، وانضباط الكلام . لذا حكموا فسادوا ،

١- رواه البخارى .
٢- رواه الترمزى .
٣- رواه الامام أحمد .
٤- رواه ابن حبان .

وقادوا فنجحوا ، وساسوا العالم كله سياسة الصدق والدقة والانضباط فإنبهر بهم العالم ، كما انبهر بسلوكهم وما يزال التاريخ يتحدث بصدقهم ، وأخلاقهم ، وانضباطهم وَحُسْن سلوكهم ، وسيرتهم الزاكية العطرة وبحق كانوا مثلا يحتذى في هذا السلوك الذى ارتقى به المجتمع المسلم .

فأما الكذب فهومن أمارات النفاق ، وأمارات انقطاع الصلة بالدين فمما لا ريب فيه أن الكذب رذيلة كبرى ، وداء عضال ، إذا ما أصيب به مجتمع من المجتمعات ، فسد ، وانحل ، وشاعت فيه الرذيلة ودرست فيه الفضيلة وأصيب بأدواء لم تكن في سابقيه . ولا عذر البتة لمن يتخذون الكذب خُلُقاً ويعبثون على خديعة الناس. قال رسول الله - ﷺ -:

" يطبع المؤمن على الخلال كلها إلاَّ الخيانة والكذب " (١).

وسئل رسول الله - ﷺ - : " أيكون المؤمن جبانا ؟

- قال : نعم
- قيل له : أيكون المؤمن كذابا ؟
- قال : لا (٢).

لذا نرى القرآن الكريم يوجه المسلم إلى هذا الخلق الكريم ، كى يستقيم أمره ويصلح حاله وتقوى شوكته ، فى أكثر من موضع ، وأكثر من آية .

فيقول الله - عز وجل -: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [سورة البقرة:١٧٧]

والمعنى : ليس البر وعمل الخير ، وفعل الطاعات محصوراً في أن يتوجه الإنسان في صلاته جهة المشرق أوجهة المغرب ، ولكن البر الصحيح هو: الإيمان بالله ، واليوم الآخر والملائكة والنبيين والكتب المنزله من الله - سبحانه وتعالى - على أنبيائه ، ويعطى وينفق المال على محبته له ، وحرصه على جمعه ، لذى القربى واليتامى والمساكين ، وأبناء السبيل ، وهم المسافرون الذين انقطع عنهم المال ، والذين يسألون المعونة بدافع الحاجة ، كما ينفقه أيضا في فكاك الأسرى من أسرهم ، والعبيد الأَرِقاء بالفداء ، وقام بأداء الاركان ومن أهمها

١- رواه الامام احمد .
2- رواه الامام مالك .

" الصلاة " و" الزكاة " والذين يوفون بالعهود ، ولا يخلفون الوعود والصابرين على الشدائد ، وحين القتال فى سبيل الله .

من كانت هذه صفاتهم ، وأوصافهم هم الذين صدقوا في ايمانهم وأولئك هم الكاملون في التقوى ، وأصحاب الإيمان الصادق ، الموفون بعهودهم . وفي الآية " ثناء ومديح " للأبرار ، وإيحاء إلى ما يلاقونه من إطمئنان وخيرات حسان . ويقول صحاب اللَّطائف :

" وما ذكر في هذه الآية من وجوه الإحسان وفنونه ، ووجود قضايا الإيمان وإيتاء المال ، وتصفية الأعمال ، وصلة الرحم ، والتمسك بفنون الذمم والعصم والوفاء بالعهود ومراعاة الحدود وعظيم الأثر ، كثير الخطر ، محبوب الحق شرعا ومطلوبه أمراً لكن قدام الحق عنك بعد فنائك ، وامتحانك من شاهدك واستهلالك في وجود القِدم ، وتعطل رسومك عن مساكنات إحساسك - أتمُّ وأعلى في المعنى؛ لأن التوحيد لا يُبقِي رسماً ولا أثراً ، ولا يغادر غَيْراً ولا غَبَراً والغير هو السوى ، والغبر فهو معروف .

وهناك خلاف بين العلماء في أن هذا الخطاب عام أوخاص ، والصحيح والراجح أنه عام ينتظم جميع المسلمين في كل زمان و مكان ، فهوخطاب عام .

والبر يشمل جميع الطاعات قال تعالى :- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار:١٣:١٤]فجعل البر ضد الفجور.

وقال تعالى :- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة:٢]

وعدوا البر بتحقيق ماهيته فى أمور خمسة هى:-

أولها : الإيمان بالله . ثانيها : إيمان باليوم الآخر.

ثالثها : الإيمان بالملائكة . رابعها : الإيمان بالكتب .

خامسها : الإيمان بالرسل .

وأهل هذه الصفات هم الذين صدقوا في ايمانهم . ولذا قال بعضهم هذه الصفة خاصةً للأنبياء-عليهم السلام- ، وقال آخرون هذه عامةً في جميع المؤمنين .

ونحن نرى أنها عامة في جميع المؤمنين في كل زمان ، وفي كل عصر ، كما أومأنا إلى ذلك آنفا [1].

ويقول الحق- سبحانه وتعالى-:﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [سورة المائدة:١١٩]

والمعنى إن يوم القيامة ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة ويوم الجزاء ، يوم يقف الناس في عرصات القيامة للحساب و الجزاء .

وفي ذلك اليوم ينفع الذين صدقوا في دنياهم صدقهم في هذا اليوم وجزاء صدقهم في دنياهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، يعنى من تحت غرفها وأشجارها ما كتبن فيها لا يخرجون منها أبدا ، وبذلك يكونوا قد نالوا رضا ربهم جزاء صدقهم في الدنيا ، وهم أيضا قد رضوا عن ربهم حيث جازاهم ما وعدهم به فى كتابه العزيز إنه الفوز الكبير برضوان اللّه- سبحانه وتعالى- وهذا الرضوان ، وذلك الفوز :

هو جنات تجرى من تحتها الأنهار حيث أن الجميع ملكه ، وتحت سلطانه وقهره ومشيئته ، وهوالقادر على كل شيء .

ويقول الإمام " القشيرى " : " مَنْ تَعَجَّل ميراثَ صدقه في دنياه من قبول حصل له من الناس ، أورياسةٍ عقدت له ، له أونفع وصل إليه من جاهٍ أومال . فلا شيء لَه في آجله من صواب صدقه ، لأن الحقَّ - سبحانه - نصّ بأنَّ يومَ القيامةِ ينفع فيه الصادقين صدقهم .

قوله جلّ ذكره : {...رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ... } .

ورضاءُ الحق - سبحانه - إثباتُ مَحَلّ لهم ، وثناؤه عليهم ومدحُه لهم ، وتخصيصهم بأفضاله وفنون نواله . ورضاؤهم عن الحق - سبحانه في الآخرة وصولهم إلى مُنَــاهم ؛ فهو الفوز العظيم والنجاة الكبرى ."

ويقول " القرطبى " : " قال اللّه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم" أي صدقهم في الدنيا فأما في الآخرة فلا ينفع فيها الصدق وصدقهم في الدنيا يحتمل أن يكون صدقهم في

1- التفسير الكبير المسمى " نفاتيح الغيب " للامام فخر الرازى جـ٣ ، ص ٨ – ٢٤ بتصرف .
- صفوة التفاسير للصابونى جـ ١ ، ص ١١٥ وما بعدها بتصرف .
- لطائف الاشارات جـ ١ ، ص ١٤٩ .
- خلق المسلم للامام العصر الحديث المغفور له الشيخ محمد الغزالى ص٣١ وما بعدها بتصرف .

العمل لله ويحتمل أن يكون تركهم الكذب عليه وعلى رسله، وإنما ينفعهم الصدق في ذلك اليوم وإن كان نافعاً في كل الأيام لوقوع الجزاء فيه.

وقيل: المراد صدقهم في الآخرة وذلك في الشهادة لانبيائهم بالبلاغ وفيما شهدوا به على أنفسهم من أعمالهم ويكون وجه النفع فيه أن يكفوا المؤاخذة بتركهم كتم الشهادة فيغفر لهم بإقرارهم لانبيائهم وعلى أنفسهم " .

ونحن نرى أن المراد بالصدق في الآية وفي غيرها من الآيات التى تذكر الصدق ، والصادقين ، والصادقات هوالصدق في الدنيا ، مع الله ، ومع الناس وفي العبادات ، والمعاملات، وجميع الأعمال المنوطة بالمسلم ، وكل التكاليف وجميع الأوامر ، والنواهى الواردة فى القرآن الكريم والسنة . لذا كان جزاؤهم في الآخرة جنات تجرى من تحت غرفها الأنهار ، وتجرى أيضا من تحت اشجارها الأنهار ، وما ذلك الا لأنهم صدقوا الله ورسوله وصدقوا في كل أعمالهم ، وافعالهم وحركاتهم ، وسكناتهم ، وفي نومهم ويقظتهم وسرهم وجهرهم . ثم بين الله- عز وجل- ثوابهم في الآخرة أيضا أنه راض عنهم ، راضون عنه وذلك بالجزاء الذى أثابهم به . وذلك الظفر العظيم خيره الكبير نفعه ، العظيم ثوابه .

ويقول " ابن كثير "- رحمه الله تعالى- في هذه الآية : " عن ابن عباس يقول: يوم ينفع الموحدين توحيدهم .

﴿....لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ....﴾ [سورة التوبة:١٠٠]أي لهم جنات تجرى من تحتها ومن تحت اشجارها :ماكثين فيها لا يَحُولون ولا يزولون، رضي الله عنهم ورضوا عنه، كما قال تعالى: {.... وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ....} [سورة التوبة:٧٢]، فعن أنس مرفوعا قال: قال رسول الله -ﷺ-: " ثم يتجلى لهم الرب تعالى فيقول: سلوني سلوني أعطكم".

قال: "فيسألونه الرضا، فيقول: رضاي أحلكم داري ، وأنالكم كرامتي فسلوني أعطكم. فيسألونه الرضا"، قال: "فيشهدهم أنه قد رضي عنهم ".

وقوله: {... ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ... }[سورة التوبة:٧٢] أي: هذا هوالفوز الكبير الذي لا أعظم منه كما قال تعالى:-﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الصافات:٦١] .

وكما قال: ﴿....وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المطفِّفين:٢٦] .

هو- سبحانه وتعالى- الخالق للأشياء، المالك لها، المتصرف فيها القادر عليها، فالجميع ملْكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته، فلا نظير له ولا وزير ولا عديل، ولا والد ولا ولد ولا صاحبه، فلا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا معبود بحق غيره . (١)

وفى معنى الصدق يقول المولى :- ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة الأعراف:١٠٥]

والمعنى : حقيق علي ،يعنى واجب . ومن قرأ " علي ألا " فالمعنى حريص على ألا أقول ، وفي قراءة " عبد الله " حقيق ألا أقول " وذلك باسقاط " علي " وقيل " علي " بمعنى الباء أى حقيق بإلا أقول وكذلك فى قراءة " أُبَىّ" والأعمش " بإلا أقول ، كما تقول رميت بالقوس وعلى القوس ، فحقيق على هذا يعنى " محقوق " فأرسل معى " بنى إسرائيل " أى خلهم ، وكان يستعملهم فى الأعمال الشاقة .

ويقول صاحب الظلال : " فما كان الرسول الذي يعلم حقيقة الله ، ليقول عليه إلا الحق ، وهو يعلم قدره؛ ويجد حقيقته - سبحانه - في نفسه .

{ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ } .

تدلكم على صدق قولي : إني رسول من رب العالمين .

وباسم تلك الحقيقة الكبيرة . . حقيقة الربوبية الشاملة للعالمين . . طلب موسى من فرعون أن يطلق معه بني إسرائيل . . إن بني إسرائيل عبيد لله وحده ؛ فما ينبغي أن يعبدهم فرعون لنفسه ! إن الإنسان لا يخدم سيدين ، ولا يعبد إلهين . فمن كان عبداً لله ، فما يمكن أن يكون عبداً لسواه . وإذ كان فرعون إنما يعبد بني إسرائيل لهواه؛ فقد أعلن له موسى أن رب العالمين هو الله . وإعلان هذه الحقيقة ينهي شرعية ما يزاوله فرعون من تعبيد بني إسرائيل!

إن إعلان ربوبية الله للعالمين هي بذاتها إعلان تحرير الإنسان .

تحريره من الخضوع والطاعة والتبعية والعبودية لغير الله .

تحريره من شرع البشر ، ومن هوى البشر ، ومن تقاليد البشر ، ومن حكم البشر.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٢ ، ص ١٢١- ١٢٢ بتصرف .

- تفسير القرطبى جـ ٤ ، ص ٢٣٧٦ بتصرف .
- لطائف الاشارات للامام القشيرى جـ ١ ، ص ٤٥٨ بتحقيق وتقديم وتعليق الدكتور ابراهيم بسيونى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١ م .
- صفوة التفاسير جـ ١ ، ص ٣٧٥ بتصرف .

obeikandl.com

وإعلان ربوبية الله للعالمين لا يجتمع مع خضوع أحد من العالمين لغير الله؛ ولا يجتمع مع حاكمية أحد بشريعة من عنده للناس . . والذين يظنون أنهم مسلمون بينما هم خاضعون لشريعة من صنع البشر - أي لربوبية غير ربوبية الله - واهمون إذا ظنوا لحظة واحدة أنهم مسلمون! إنهم لا يكونون في دين الله لحظة واحدة وحاكمهم غير الله ، وقانونهم غير شريعة الله . إنما هم في دين حاكمهم ذاك . في دين الملك لا في دين الله!

وعلى هذه الحقيقة أُمر موسى - عليه السلام - أن يُلبي طلبه من فرعون إطلاق بني إسرائيل : " يا فرعون إني رسول من رب العالمين " . . . " فارسل معي بني إسرائيل " . . . مقدمة ونتيجة . . تتلازمان ولا تفترقان .

ولم تغب على فرعون وملئه دلالة هذا الإعلان . إعلان ربوبية الله للعالمين . . لم يغب عنهم أن هذا الإعلان يحمل في طياته هدم ملك فرعون . وقلب نظام حكمه وإنكار شرعيته وكشف عدوانه وطغيانه . . ولكن كان أمام فرعون وملئه فرصة أن يظهروا موسى بمظهر الكاذب الذي يزعم أنه رسول من رب العالمين بلا بينة ولا دليل :

" قال : إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين " . . ذلك أنه إذا اتضح أن هذا الداعية إلى ربوبية رب العالمين كاذب في دعواه؛ سقطت دعوته وهان أمره؛ ولم يعد لهذه الدعوة الخطيرة من خطر - وصاحبها دعيّ لا بينة عنده ولا دليل! . ولكن موسى يجيب: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء٢٣ :٣٣]

فكانت الآية بإلقاء العصى ! فإنقلبت ثعباناً لا شك في ثعبانيته . . وكما قيل في سورة أخرى : ﴿...فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة طه:٢٠] ثم إن يده السمراء - وقد كان موسى - عليه السلام - أسمر اللون أي مائلاً إلى السمرة - يخرجها من جيبه فإذا هي بيضاء من غير سوء، بيضاء ليست عن مرض ، ولكنها المعجزة ، فإذا أعادها إلى جيبه عادت سمراء! هذه هي البينة والآية على الدعوى التي جاء بها موسى إني رسول من رب العالمين .

هذا هوالصدق الذى يعد من شيم الأنبياء والمرسلين ومن شيم المسلمين الأتقياء ، والمؤمنين الأصفياء ، فالصدق منجاة لهم جميعاً [1].

1- فى ظلال القرآن الكريم جـ ٣ ، ص ١٣٤٦ .
- القرطبى جـ ٤ ، ص ٢٦٩٣ .
- حاشية الشهاب على البيضاوى جـ ٤ ، ص ٢٠٠.

وفي فضيلة الصدق يقول الحق- سبحانه وتعالى- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة التوبة:١١٩]

والمعنى : هم الصادقون في ايمانهم فلم يكونوا من المنافقين ، أومع الذين لم يتخلفوا، أومع الذين لأنه صدقوا في دين اللّه نيةً ، وقولاً ، وعملا ، والآية تدل على أن الاجماع حُجّة لأنه أمر بالكون مع الصابرين فلزم قبول قولهم ، قال تعالى:﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة التوبة:١٢٠]

والمراد بهذا النفى " النهى " وخص هؤلاء بالذكر وإن استوى كل الناس بذلك لقربهم منه ، ولا يخفى عليه خروجه .

ويقول " القرطبى " : " هذا الامر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين.

قال مطرف: سمعت مالك بن أنس يقول: كلما كان رجلاً صادقاً لا يكذب إلا مُتِعّ بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرف. واختلف في المراد هنا بالمؤمنين والصادقين على أقوال، فقيل: هوخطاب لمن آمن من أهل الكتاب. وقيل: هوخطاب لجميع المؤمنين، أي أتقوا مخالفة أمر اللّه.

" ....وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ...." .

أي مع الذين خرجوا مع النبي- ﷺ- لا مع المنافقين .

أي كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم .

وقيل: هم الانبياء، أي كونوا معهم بالاعمال الصالحة في الجنة.

وقيل: هم المراد بقوله: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة البقرة:١٧٧]

وقيل: هم الموفون بما عاهدوا، وذلك لقوله تعالى:﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٢٣]

وقيل: هم المهاجرون، لقول أبي بكر يوم السقيفة إن الله سمانا الصادقين فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحشر:٨]

ثم سماكم بالمفلحين فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر:٩]

وقيل: هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم . قال " ابن العربي " :

"وهذا القول هوالحقيقة والغاية التي إليها المنتهى فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق في العقيدة والمخالفة في الفعل، وصاحبها يقال له الصديق كأبي بكر وعمر وعثمان ومن دونهم على منازلهم وأزمانهم. وأما من قال: إنهم المراد بآية البقرة فهومعظم الصدق ويتبعه الاقل وهومعنى آية الأحزاب .

وهوقوله تعالى :- ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأحزاب:٢٤]

وأما تفسير أبي بكر الصديق – رضى الله عنه – فهو الذي يعم الأقوال كلها فإن جميع الصفات فيهم موجودة.

وهوالذى ذكرناه آنفا حيث قال يوم السقيفة إن الله سمانا الصادقين فقال تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحشر:٨]

فالذى فهم عن الله وعقل عنه أن يلازم الصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال، والصفاء في الأحوال، فمن كان كذلك لحق بالأبرار ووصل إلى رضا الغفار، قال- ﷺ -:

" عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا " (١) .

وقد رد - ﷺ - شهادة رجل في كذبة كذبها .

قال معمر:لا أدري أكذب على الله أو أكذب على رسوله أو أكذب على أحد من الناس

1- أخرجه مسلم .

وسئل " شريك بن عبد الله " فقيل له: يا أبا عبد الله، رجل سمعته يكذب متعمداً فهل أصلي خلفه ؟ قال لا.

وعن " ابن مسعود "-رضى الله عنهما - قال:إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ، ولا أن يعد أحدكم شيئا ثم لا ينجزه، أقرأوا إن شئتم " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين "هل ترون في الكذب رخصة ؟ وقال مالك :

لا يقبل خبر الكاذب في حديث الناس وإن صدق في حديث رسول الله -ﷺ-.

وقال غيره: يقبل حديثه .

والصحيح أن الكاذب لا تقبل شهادته ولا خَبَـــرِه لما ذكرناه، فإن القبول مرتبة عظيمة وولاية شريفة لا تكون إلا لمن كملت خصاله ولا خصلة هي أشر من الكذب فهي تعزل الولايات وتبطل الشهادات . فالمراد من الآية أيضا : راقبوا الله في جميع اقوالكم وأفعالكم ، وكونوا مع أهل الصدق واليقين ، الذين صدقوا في الدين نبيه ، وقولاً وعملاً وفي تفسير " المراغى " :" يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله اتقوا الله ، وراقبوه بأداء فرائضة ، واجتناب نواهيه ، وكونوا في الدنيا من أهل ولايته ، وطاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة ، ولا تكونوا مع المنافقين الذين يتنصلون من ذنوبهم بالكذب ويؤيدونه بالحلف ولا رخصة في الكذب الا لضرورة من خديعة حرب ، أو إصلاح بين اثنين أورجل يحدث امرأته ليرضيها ، يعنى في التحبب إليها بوصف محاسنها ورضاه عنها ، لا في مصالح الدار والعيال وغيرها " .

اخرجه ابن أبى شبيه وأحمد عن أسماء بنت يزيد – رضى الله عنها – عن النبى- ﷺ- قال : " كل الكذب يكتب على ابن آدم إلاَّ رجل كذب في خديعة حرب أو إصلاح بين اثنين أورجل يحدث امرأته ليرضيها " .

ولا ريب في أن المعاريض ما يغنى العاقل عن الكذب كما جاء فى الحديث : " إن فى المعارض لمندوحة عن الكذب " . (١)

1- التفسير المراغى جـ ٤ ، ص ٤٣ وما بعدها .

- الطبرى .
- الكشاف للزمخشرى .
- القرطبى جـ ٥ ، ص ٣١٢٧ وما بعدها .
- حاشية الشهاب على البيضاوى جـ٤ ، ص ٣٧٤.
- تفسير النسفى جـ ١ ، ص ٥٢٣ – ٥٢٤ ط . دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان سنة ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ م .
- فى ظلال القرآن الكريم للامام سيد قطب .

وفى معنى الصدق يقول الحق- سبحانه وتعالى - : ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة يوسف:٥١]

والخطب هو الشأن العظيم الذى يقع فيه التخاطب إما لغرابته ، وإما لإنكاره ، ومنه قوله- سبحانه وتعالى- حكاية عم سيدنا إبراهيم – عليه السلام - : " قال فما خبطكم أيها المرسلون " .

وقوم موسى- عليه السلام- : " فما خطبك يا سمري " .

يعنى إن الرسول بعد أن أبلغ الملك قول " يوسف " :" انه لا يخرج من السجن حتى إستجابة دعوته حتى يحقق قصة النبوءة جمعهن وسألهن : " ما خطبكن الذى حملكم على مراودته عن نفسه : هل كان عن ميل منه إليكن ؟ وهل رأيتن منه مودةً وإستجابة بعدها؟ وماذا كان السبب فى إلقائه في السجن مع المجرمين ؟ .

قلن ما عاذ الله ما علمنا عليه من سوء يشينه ، ولا فعل يعيبه لا من قريب ولا من بعيد ، ولا قليل ولا كثير.

فقالت امرأة العزيز : " ظهر الحق بعد أن كان خفيا ، وقد ظهر فى جانب واحد لا خفاء فيه ، وهن قد شهدن بما علمن شهادة نفى ، وهأنذا أشهد على نفسى شهادة إيجاب . ﴿ ....قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة يوسف:٥١]

فإن يوسف – عليه السلام – قد استعصم وأعرض عنى ، وإنه لمن الصادقين في قوله حين قال : " هى راودتنى عن نفسى "، والذى دعاها الى هذا الاعتراف مكافأة يوسف على ما فعله من رعاية حقها ، وتعظيم جانبها ، وإنفاذ أمرها حيث قال : " ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن " ولم يعرض لشأنها البتة وفي هذا إعتراف شهادة مريحة من امرأة العزيز ببراءة يوسف من كل الذنوب وطهارته من كل العيوب .

وفى الظلال : يقول فى معنى هذه الآية :" ومن هذا نعلم شيئاً مما دار في حفل الاستقبال في بيت الوزير؛ ما قالته النسوة ليوسف وما لَمّحن به وأشرن إليه ، من الإغراء الذي يبلغ درجة المراودة . ومن هذا نتخيل صورة لهذه الأوساط ونسائها حتى في ذلك العهد الموغل في التاريخ . فالجاهلية دائماً هي الجاهلية .

إنه حيثما كان الترف ، وكانت القصور والحاشية ، كان التخلل والتميع والفجور الناعم الذي يرتدي ثياب الأرستقراطية! . وفي مثل هذه المواجهة بالاتهام في حضرة الملك ، يبدوأنه لم يكن هنالك مجال للإنكار : { قلن : حاش لله! ما علمنا عليه من سوء } !

وهي الحقيقة التي يصعب إنكارها . ولومن مثل هؤلاء النسوة . فقد كان أمر يوسف إذن من النصاعة والوضوح بحيث لا يقوم فيه جدال . وهنا تتقدم المرأة المحبة ليوسف ، التي يئست منه ، ولكنها لا تستطيع أن تخلص من تعلقها به . تتقدم لتقول كل شيء في صراحة : " قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق . أنا راودته عن نفسه . وإنه لمن الصادقين " . . الآن حصحص الحق وظهر ظهوراً واضحاً لا يحتمل الخفاء .

أجل .

قد تكون هناك أعذاراً لمن يشعرون بوسواس الحرص ، أوالخوف عندما يقفون في ميادين التضحية والفداء ولكنه لا عذر البته لمن يتخذون الكذب خلقاً ويعيشون به على خديعة الناس ، قال رسول الله - ﷺ -:

" يطبع المؤمن على الخلال كلها إلاَّ الخيانة والكذب " ويقول النبى- ﷺ -:

" رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (١) .

وفى الحديث : " قال رسول الله - ﷺ -: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني ، والإمام الكذاب، والعائل المزهو" (٢): أى الفقير المتكبر.

ويدخل في نطاق هذا الكذب تلك الاقترافات التى يبتدعها الجهال وأقحموها في دين الله بيد أنها لهو ولعب . (٣)

ومن معانى الصدق ما نجده في قول الله - سبحانه وتعالى- : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الكهف:٢٩]

1- اخرجه البخارى .
2- رواه البندار .
3- تفسير المراغى ، جـ ٤ ، ص ١٥٨ .
- فى ظلال القرآن الكريم جـ ، ص ١٩٩٥ .
- الكشاف للزمخشرى .
- حاشية الشهاب على البيضاوى .
- نفسير الجلالين .

والمعنى: قل أيها الرسول لأولئك الذين أغفلنا قلوبهم عن الذكر، واتبعوا أهواءهم هذا الذى أوحى إلي هوالحق من عند ربكم، وهوالذى يجب عليكم اتباعه، والعمل به، فمن شاء أن يؤمن به ويدخل في غمار المؤمنين، ولا يتعلل بما يصلح أن يكون مقدرة له فليفعل، ومن شاء أن يكفر به، وينبذه وراء ظهره فأمره إلى الله، ولست بطارد لأجل أهوائكم من كان للحق متبعاً، وبالله وبما أنزل علي مؤمناً. وإننى في غنى عن متابعتكم وإننى لا أبالى بكم، ولا بإيمانكم وأمر ذلك إليكم، وبيد الله التوفيق والخذلان، والهوى والظلال، وهولا ينتفع بإيمان المؤمنين، ولا يضره كفر الكافرين مثل ما قال – سبحانه وتعالى – : ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء:٧]

ويقول المفسرون فى معنى هذه الآية ظاهره أمر، وحقيقة وعيد وإنذار. يعنى : قل يا محمد- ﷺ - لهؤلاء الغافلين، لقد ظهر الحق بتوضيح الرحمن فإن شئتم فآمنوا،وإن شئتم فأكفروا، وذلك مثل قوله تعالى في آية أُخرى:﴿....اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ ....﴾ [سورة فُصِّلَت:٤٠]

وقد هيأنا للكافرين بالله ورسوله نارا حامية شديدة، أحاط بهم سورها مثل إحاطة السوار بمعصم الحسناء، وإن استغاثوا من شدة العطش فطلبوا الماء أغيثوا بماء لكنه شديد الحرارة مثل النحاس المذاب، أوكعكر الزيت المحمى يشوى وجوههم إذا قرب منهم وذلك من شدة حرة.

وفى الحديث :-

" ماء كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه ".

يعنى سقطت جلدة وجهه فيه.

نعوذ بالله من جهنم [1].

بئس ذلك الشراب الذى يغاثون به وساءت جهنم منزلاً ونقيلا يرفق به أهل النار

ويقول " القرطبى " فى معنى هذه الآية :

" قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس ! من ربكم الحق فإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال، يهدى من يشاء فيؤمن ويضل من يشاء فيكفر، ليس إلى من ذلك شئ، فالله يؤتى الحق من يشاء وإن كان ضعيفا، ويحرمه من

1 - أخرجه أحمد والترمزى .

يشاء وإن كان قوياً غنيا، ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا . وليس هذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر وإنما هووعيد وتهديد .

أي إن كفرتم فقد أعد لكم النار، وإن آمنتم فلكم الجنة.

وقد اعددنا للكافرين الجاحدين ناراً أحاط بهم سرادقها .

يقول " الجوهرى " : السرادق هو أحد السرادقات التى تمد فوق صحن الدار. وكل بيت من كرسف فهوسرادق، والكرسف هوالقطن ، يقول الشاعر رؤبة :

يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود

وقال سلامة بن جندل :

هو المدخل النعمان بيتا سماؤه صدور الفيول بعد بيت مسردق

ويقول " ابن الاعرابي " : " سرادقها " يعنى سورها.

وعن " ابن عباس " – رضى الله عنهما – : حائط من نار.

وقيل: هودخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الذى ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [سورة المرسلات:٣٠]وقوله: ﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴾ [سورة الواقعة:٤٣]

وقيل: إنه البحر المحيط بالدنيا. وروى يعلى بن أمية قال قال رسول الله- ﷺ -: " البحر هوجهنم – ثم تلا – ناراً أحاط بهم سرادقها " – ثم قال – والله لا أدخلها أبدا ما دمت حيا ولا يصيبني منها قطرة ".

عن" أبى سعيد الخدرى" عن النبي – ﷺ – قال :

" لسرادق النار أربع جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة ".

وقيل : وهذا يدل على أن السرادق ما يعلو الكفار من دخان أونار، وجدره ما وصف.

قوله تعالى :﴿ ....وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَ ....﴾ [سورة الكهف:٢٩]

قال " ابن عباس " – رضى الله عنهما – : المُهْل ماء غليظ مثل درى الزيت . ومثله قول الله – عزوجل-:﴿....وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾ [سورة محمد:١٥]

والإسلام يحرص ، ويوصى بأن تغرس فضيلة الصدق في المؤمنين جميعا وخاصة في نفوس الناشئة ، والأطفال حتى يشبوا عليها ، ويعتادونها ويتخلقون بها .

فعن " عبد الله بن عامر " قال : " دعتني أمي يوما ورسول الله - ﷺ - قاعد في بيتنا ، فقالت : تعال هاك أعطيك فقال لها رسول- الله - ﷺ -: وما أردت أن تعطيه؟ قالت : تمرا .

فقال لها رسول الله- ﷺ -: أما إنك لولم تعطه شيئاً كُتِبَت عليك كذبة "(١) .

عَن أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ :

" من قَالَ لِصَبِىٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطه فَهِىَ كَذْبَةٌ " (٢) .

فأنظر كيف يعلم رسول الله - ﷺ - الأمهات والآباء تربية أولادهم حتى ينشأوا على الصدق ، وتجنب الكذب .

قال - ﷺ -: " الصدق منجاة ، ولوكانت فيه الهلكة " يعنى : ولوظن أن في الصدق هلاكه فهومنجاة له .

وقال رسول الله - ﷺ -: " ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب، ويل له ، ويل له " (٣) .

وقد قال رسول الله - ﷺ -: " لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد فقولوا : " عبد الله ورسوله " .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : " أمرنا رسول الله- ﷺ - أن نحثوا في وجوه الداحين التراب " (٤) .

والمقصود هؤلاء الذين اتخذوا المديح للمادحين ، والاستجداء ، والتكسب . فيمدحون الناس بما ليس فيهم تزلفاً ونفاقاً ، وابتغاء عرض دنيوى دنئ ، أما الذى يصف الرجل بما هو أهل له فليس ذائلاً فى هؤلاء حيث إنه صادق ، ومن الواجب أن نمتدح المخلصين الصادقين الاوفياء لنشجعهم على الخير وفعله والاستمرار فيه ، وحتى يقتدى بهم غيرهم.

فعن " أبى بكر " قال :- " أن رجلا ذكر عند النبي- ﷺ -: فأثنى عليه رجل خيرا فقال النبي - ﷺ -: (ويحك قطعت عنق صاحبك - يقوله مراراً - إن كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك والله حسيبه ولا يزكي على الله أحدا (٥) .

1- رواه ابوداود .
2 - رواه أحمد .
3 - رواه الترمزى .
4- رواه الترمزى .
5 - رواه البخارى .

ومن الآيات القرآنية الكريمة التى تمتدح الصدق ، والصادقين قوله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [سورة مريم:٤١] .

وقوله تعالى :-﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [سورة مريم:٥٠]

وقوله-سبحانه وتعالى-:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [سورة مريم:٥٦]

فأنظر أخى المسلم ، وأختى المسلمة إلى قول الحق – سبحانه وتعالى – في سيدنا " إبراهيم "- عليه السلام- إنه كان صديقاً نبياً ، فهى مبالغة في كونه صادقاً ، وهوالذى يكون عادته الصدق ، لأن هذا البناء ينبئ عن ذلك ، وهوالذى يكون كثير الصدق في الحق حتى يصير مشهوراً به معروفاً ، لأن المصدق بالشيء لا يوصف بكونه " صديقاً " إلاَّ إذا كان صادقاً في ذلك التصديق .

فالمؤمنون بالله ورسله صادقون في ذلك التصديق ، والنبى -ﷺ-: يجب أن يكون صادقا في كل ما أخبر به ، وأخبر عنه ، لأن الله – سبحانه وتعالى- صدقه ، ومصدق الله صادق ، وإلاَّ لَزِمَ الكذب في كلام الله تعالى فيلزم من هذا كون الرسول صادقا في كل ما يقول ، ولأن الرسل شهداء الله على الناس على ما قال الله – سبحانه وتعالى – .

قال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [سورة النساء:٤١]

والشهيد إنما يقبل قوله إذا لم يكن كاذبا .

أما قوله – سبحانه وتعالى- في سيدنا إبراهيم – عليه السلام- ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ...﴾ [سورة الأنبياء:٦٣] ، وقوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ [سورة الصافات:٨٩]ليس كذبا .

فقوله تعالى " بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا " سخرية واستهزاءً بهم حيث إن الأصنام لا تفعل ، ولا تنفع ، ولا تضر .

ويقول " ابن كثير "- رحمه الله تعالى - : " قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا " .

يعنى الصنم الذى تركه ولم يكسره ، فسألوهم إن كانوا ينطقون ، وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم، لأنه جماد .

وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله - ﷺ - قال: "إن إبراهيم، عليه السلام، لم يكذب غير ثلاث: إثنتين في ذات الله ، قوله : " قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا " وقوله : " إِنِّي سَقِيمٌ " .

قال: " وبينا هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة ، إذ نزل منزلاً فأتى الجبار رجل، فقال: إنه قد نزل بأرضك رجل معه امرأة أحسن الناس ، فأرسل إليه فجاء .

فقال: ما هذه المرأة منك ؟

قال: هي أختي .

قال: فاذهب فأرسل بها إليّ ، فانطلق إلى سارة .

فقال: إن هذا الجبار سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله ، وأنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك ، فانطلق بها إبراهيم - عليه السلام- ثم قام يصلي . فلما أن دخلت عليه فرآها أهوى إليها، فتناولها ، فأخذ أخذاً شديداً .

فقال: ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت له فأرسل ، فأهوى إليها ، فتناولها فأخذ بمثلها أوأشد . ففعل ذلك الثالثة فأخذ، مثل المرتين الأوليين .

فقال : ادعي الله فلا أضرك. فدعت له فأرسل، ثم دعا أدنى حجابه.

فقال: إنك لم تأتنَ بإنسان ، وإنما أتيتني بشيطان، أخرجها وأعطها هاجر فأخرجت وأعطيت هاجر، فأقبلت ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته قال: مَهْيَم؟ قالت: كفى الله كيد الكافر الفاجر، وأحدمني هاجر" .

قال محمد بن سيرين وكان : أبوهريرة إذا حدث بهذا الحديث قال: فتلك أمكم يا بني ماء السماء .

وقوله " كان صديقا " . يعنى : - عليه السلام – من أول وجوده إلى انتهاءه موصوفاً بالصدق والأمانة. وهذه الأصنام " لا تسمع ، ولا تبصر، ولا تغنى عنك شيئاً .

ويقول بعض المفسرين في معنى هذه الاية :

" وأذكر يا محمد - ﷺ - في الكتاب العزيز " خليل الرحمن " إبراهيم – عليه السلام – إنه كان ملازماً للصدق ومبالغاً فيه جامعا بين الصديقية والنبوة ، والغرض من هذا تنبيه العرب إلى فضل سيدنا " إبراهيم " الذى يزعمون الانتساب إليه ثم بعد ذلك يعبدون الأصنام والاوثان مع إنه إمام الحنفاء ، وقد جاء بالتوحيد الصافى الذى دعاهم إليه خاتم المرسلين .

ويقول الحق- سبحانه وتعالى- في معنى الصدق :﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [سورة مريم:٥٠]

يعنى : أعطينا الجميع وهم " إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، " كل الخير الدينى والدنيوى من المال والولد ، والعلم والعمل ، وجعلنا لهم ذكراً حسنا في الناس ، لأن جميع أهل الملل ، والأديان يثنون عليهم لما لهم من الخصال المرضية ويصلون على إبراهيم – عليه السلام – وعلى آله إلى قيام الساعة .

ويقول الامام " الطبرى : " أى رزقناهم الثناء الحسن ، والذكر الجميل فى الناس .

ويواصل القرآن الكريم فى الحديث عن فضيلة الصدق ، وامتداحه إياه فيقول سبحانه :-﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [سورة مريم:٤١] .

والمراد : " واذكر يا محمد - ﷺ - في الكتاب الجليل خبر " إدريس " إنه كان ملازماً للصدق في جميع أحواله ، وموحى إليه من الله – سبحانه وتعالى - .

ويقول المفسرون إن " إدريس " هو" جدّ " سيدنا " نوح "- عليهما السلام- وأول مرسل بعد " آدم "- عليه السلام - . وهوأول من خط بالقلم ولبس " المخيط " وكانوا من قبل يلبسون الجلود ، وقد أنزل الله تعالى عليه " ثلاثين صحيفة " .

ذينكم الصدق فى القول ، والعمل ، وهوالذى تحلى به الأنبياء والمرسلين ، وهم قدوة حسنة لنا فمن واجب المسلم والمسلمة الاقتداء بهؤلاء الهداة الذين يعدون قدوة حسنة لأممهم وشعوبهم حتى تسود فضيلة الصدق وينمحى الكذب الذى يؤدى إلى الفجور ، والفجور يؤدى إلى النار وفوق ذلك يستمرئ المرء الكذب ويتمادى فيه حتى يكتب عند الله كذابا . أما فضيلة الصدق فإن المسلم إذا اعتادها يظل متمسكا بها حتى يستمر عليها فيصدق في قوله ، وعمله ، حتى يكتب عند الله صديقا . اللهم اجعلنا من الذين يصدقونك قولاً ، وعملاً ، حتى ترضى عنا ونفوز بسعادة الدارين ..... آمين .

وقال تعالى في سيدنا " إسماعيل " – عليه السلام - :﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة مريم:٥٤]

يعنى : كان صادق الوعد اذ وعد من نفسه لصبر على ذبح أبيه ، وصبر على ذلك إلى أن ظهر الفداء .

وصدق الوعد لأنه حفظ العهد .

وقوله :﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [سورة مريم:٤١] .

فالصديق كثير الصدق ، لا يشوب صدقه مذق يعنى لا تشوب صدقه شائنه فهوصدق خالص لا يخالطه زيف ولا كذب ، ويكون قائما بالحق للحق ، ولا يكون فيه نفس لغير الله .

ويمتدح القرآن هذه الخصلة في أكثر من سورة ، وأكثر من آية في كتابه العزيز ، فيقول في موطن اخر من كتاب الله : ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الشعراء:٨٤:٨٥]

والمعنى : واجعل لى ذكرا حسنا ، وثناء عاطرا فيمن يأتى بعدى إلى يوم القيامة ، أذكر به ، ويقتدى بى . يقول أهل العلم : " وفي الآية دليل على استحباب كسب الذكر الجميل اذ هوالحياة الثانية ، وأنشدوا : قد مات قوم وهم في الناس أحياء ويقول " ابن عباس " – رضى الله عنهما – :

" هواجتماع الأمم عليه ، فكل أمة تتمسك به وتعظمه .

ويقول الله-عز وجل- في الصدق: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الشعراء:٨٤:٨٥]

وهى دعوة تدفعه اليها الرغبة في الامتداد لا بالنسب ، ولكن بالعقيدة فهويطلب إلى ربه أن يجعل له فيمن يأتون أخيراً لسان صدق يدعوهم إلى الحق ويردهم إلى الحنيفية السمحاء ، وهى " دين إبراهيم " – عليه السلام – .

ولعلها هى دعوته في موضع آخر ، اذ يرفع قواعد البيت الحرام هووابنه " إسماعيل " – عليه السلام- ثم يقول : ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة١٢٨: ١٢٩]

وقد استجاب الله له ، وحقق دعوته ، وجعل له لسان صدق في الاخرين وبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم .

وكانت الاستجابة بعد آلاف السنين ، وهى في علاف الناس أمد طويل وهى عند الله أجل معلوم تقتضى حكمته أن تتحقق الدعوة المستجابة فيه .

ويقول " ابن كثير " – رحمه الله تعالى – : " يعنى الثناء الحسن " .

ويقول " مجاهد "–رضى الله عنه– : "كقوله تعالى:" ... وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ ...."،

ومثل قوله تعالى: " ...وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ..." ، وأنعم عَلَيَّ في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدى ، وفي الآخرة بأن تجعلنى من ورثة جنة النعيم (١) .

ويقول الله سبحانه فى معنى الصدق : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [سورة العنكبوت:٣]

والمعنى : فليعلمن الله الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هوكاذب في قوله ، ودعواه ، والله - سبحانه وتعالى- يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لوكان كيف يكون ، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة ، وبهذا يقول " ابن عباس " - رضى الله عنهما- وغيره فى مثل قوله " الا لنعلم " إلاَّ لنرى .

وذلك لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود ، والعلم أعم من الرؤية ، فأنه يتعلق بالمعدوم والموجود .

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ، ولكن الابتلاء يكشف فى عالم الواقع ما هومكشوف لعلم الله . مغيب عن علم البشر ، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا مجرد ما يعلمه - سبحانه وتعالى - من أمرهم .

وهو فضل من الله من جانب وعدل من جانب آخر ، وتربية للناس من جانب ، فلا يأخذوا أحداً إلاَّ بما استعلن من أمره ، وبما حققه فعله ، فليسوا بأعلم من الله بحقيقه قلبه. ويقول بعض المفسرين فى معنى هذه الآية :

" ولقد أخبرنا ، وامتحنا من سبقهم بأنواع التكاليف ، والمصائب والمحن .

يقول " البيضاوى " : " والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه﴿...فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة العنكبوت:٣] . فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان والذين كذبوا فيه

1- تفسير ابن كثير جـ ٣ ، ص ١٨٢ ، ص ٣٣٨ .
- تفسير الطبرى جـ١٦ ، ص ٩٣ .
- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٦٩٩.
- مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ، ص ٤٥٦ .
- حاشية الصاوى على الجلالين جـ ٣، ص ١٧٥.
- تفسير القرطبى جـ ١٣ ، ص ١١٤ .
- تفسير الطبرى جـ ١٩ ، ص ٥٥.
- فى ظلال القرآن الكريم للامام الشهيد سيد قطب جـ٥ ، ص ٢٦٠٤.
- مفاتيح الغيب للرازى جـ ١٠ ، ص ٤٦٤ وما بعدها .
- لطائف الاشارات جـ ٢ ، ص ٤٣٣ .

وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن أوليجازين ، أي وليعرفنهم الله الناسأوليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها . وعبر عن الصادقين بلفظ " الفعل " "الذين صدقوا " ، وعن الكاذبين " باسم الفاعل " وذلك للإشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر ، وأن الكذب راسخ فيهم بخلاف الصادقين فإن الفصل يفيد التحدد والحدوث .

ويقول الامام " الفخر الرازى " : " إن اسم الفاعل فائدة مع أن الاختلاف في اللَّفظ أدل على الفصاحة ، وهي أن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ أمره وفلان نافذ الأمر فإنه لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ، ومن اسم الفاعل يفهم ذلك إذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالإسلام في أوائل إيجاب التكاليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال في حق المؤمنين.

ويقول الله-عز وجل- فى معنى الصدق:- ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الأحزاب:٨]

ومعناه ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الصادقين عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم .

يقول " الصاوى " : " والحكمة في سؤال الرسل مع علمه تعالى بصدقهم هو: التقبيح للكافرين يوم القيامة ، وتبكيتهم .

ويقول " القرطبى " : " وفي الآية تنبيه على أن الأنبياء يسألون ، فكيف بمن سواهم؟ وقال مجاهد أيضاً : " ليسأل الصادقين " ، أراد المؤدين عن الرسل . . وسؤال الرسل تبكيت للكافرين بهم ، كما قال تعالى لعيسى – عليه السلام – :

" أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله " وقال تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الأعراف:٦]

أن الله أكد على الأنبياء الدعاء إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين . ﴿ ....وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الأحزاب:٨]

يعنى : وأعد الله للكافرين عذاباً مؤلماً موجعاً ، وذلك بسبب كفرهم وإعراضهم عن قبول الحق والصادقون هم المؤمنون .

فهم الذين قالوا كلمة الصدق ، واعتنقوا عقيدة الصدق ، ومن مواهم فهوكاذب ، لأنه يعتقد بالباطل ، ويقول كلمة الباطل ، ومن ثم كل كان هذا الوصف دلالته وإيحاؤه ،

وسؤالهم عن صدقهم يوم القيامة كما يسأل المعلم التلميذ النجيب الناجح عن إجابته التى استحق بها النجاح والتفوق ، أمام المدعوين لحفل النتائج ، وهوسؤال التكريم ، وللإعلان على رؤوس الأشهاد وبيان الاستحقاق ، والثناء على المستحقين للتكريم في يوم الحشر العظيم .

فأما غير الصادقين الذين دانوا بعقيدة الباطل ، وقالوا كلمة الكذب في أكبر قضية يقال فيها الصدق ، أويقال فيها الكذب " قضية العقيدة " .

فأما هؤلاء فلهم جزاء آخر حاضر مهيأ لهم ، ينتظرهم وهوالمعنى والمقصود في قوله - سبحانه وتعالى-:

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ الأحزاب:٨]

ويقول الله تعالى في معنى الصدق أيضا :- ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٤:٢٥]

والمعنى : ولقد كان من اولئك المؤمنين رجال صادقون ، نذروا أنفسهم إذا أدركوا حربا مع رسول الله - ﷺ - ثبتوا ، وقاتلوا حتى ينالوا ثواب الشهادة في سبيل الله ، ومرضاة الرسول- ﷺ -. فمنهم من وفي نذره وعهده حتى نال الشهادة في سبيل الله مثل "أنس بن النضير" و" حمزة "- رضى الله عن الصحابة أجمعين - .

ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيل الله ، وما غيروا عهدهم ، وما بدلوا نياتهم ، ليجزى الله الصادقين بسبب صدقهم ، وحسن صنيعهم أحسن الجزاء في الآخرة ، ويعذب المنافقين الناقضين للعهود إن الله واسع المغفرة ، رحيما بعباده .

يقول " ابن كثير " – رحمه الله تعالى - :" ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى هى الغالبة لغضبه ، ختم بها الآية الكريمة . وبالتأمل في هذه الآية نجد أن الله- عز وجل- بين لنا صفات المجاهد في سبيل الله .

وهى :-

أولا : الإيمان . فقال تعالى " مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ "

ثانيا : الرجولة . حيث قال – سبحانه وتعالى - :" رِجَالٌ "

ثالثا : الصدق في تنفيذ العهود .

فقال تعالى : " صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ " .

فمنهم من وفي وقضى نحبه واستشهد في سبيله - سبحانه وتعالى- ومنهم من ينتظر أن يلقى الله شهيداً ، وما بدلوا عهدهم ، وما غيروا نياتهم فلذلك نالوا الأجر الجزيل من الله تعالى في الدنيا بالسيرة العطرة ، والأسوة الحسنة ، وفي الدار الآخرة الفوز بجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وحسنت مرتفقا .

ويقول الامام " الفخر الرازى ".- "والآية إشارة إلى وفائهم بعهدهم الذي عاهدوا الله أنهم لا يفارقون نبيه إلا بالموت فمنهم من قضى نحبه أي قاتل حتى قتل فوفى بنذره والنحب النذر ومنهم من هوبعد في القتال ينتظر الشهادة وفاءً بالعهد وما بدلوا تبديلاً بخلاف المنافقين ، فإنهم قالوا : لا نولي الأدبار فبدلوا قولهم وولوا أدبارهم ، وقوله : " لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ "

أي بصدق ما وعدهم في الدنيا والآخرة كما صدقوا مواعيدهم ويعذب المنافقين الذين كذبوا واخلفوا الله ما وعدوه.

وقوله : " والله إن شَاء " ذلك فيمنعهم من الإيمان أويتوب عليهم إن أراد وإنما قال ذلك حيث لم يكن قد حصل يأس النبي- عليه الصلاة والسلام - عن إيمانهم وآمن بعد ذلك ناس منهم وقوله : " ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا "

حيث ستر ذنوبهم و"رَّحِيمًا " حيث رحمهم ورزقهم الإيمان فيكون هذا فيمن آمن بعده أوفقال تعالى : " وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ " مع أنه كان غفوراً رحيماً لكثرة ذنبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لغفر لهم ثم بين بعض ما جازاهم الله به على صدقهم . ثم يبين الله-عز وجل- بعض ما جزاهم الله لصدقهم .

فقال : ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ....﴾ [سورة الأحزاب:٢٥]

أي مع غيظهم لم يشفوا صدراً ولم يحققوا أمراً .

{.... وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ....} أي لم يحوجهم إلى قتال".... وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا...." غير محتاج إلى قتالهم عزيزاً قادراً على استئصال الكفار وإذلالهم .

هذا جزاء الصدق وثواب الصادقين ، فهم مُثُلٌ عُلْيَا ، ونماذج من طُرُزٍ فريد [1].

---

1 - التفسير الكبير جـ ١٢ ، ص ٥٨٥ بتصرف .
- مختصر ابن كثير جـ ٣ ، ص ٨٨ بتصرف .
- حاشية الصاوى جـ ٣ ، ص ص ٢٧٠.
- مختصر ابن كثير جـ ٣ ، ص ٨٩ بتصرف .
- صفوة التفاسير للصابونى جـ ٢ ، ص ٥٢١ بتصرف .

ويقول الله- عز وجل- في معنى الصدق أيضا :﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة الزُّمَر ٣٤: ٣٥]

والمعنى : وأما الذين جاءوا بالصدق وهم الأنبياء ، والذين صدقوا به وهم المؤمنون أتباع الرسل ، فهؤلاء المصدقون بهذه الصفات هم المتقون ، أهل التقوى والصلاح الذين يستحقون كل إحسان وإكرام . هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الحميدة لهم ما يشاءون عند ربهم فى الآخرة من حور عين ، وقصور ونعيم مقيم إلى غير ذلك من ألوان الملذات وصنوف النعيم، حيث إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

قال تعالى :﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥]

وقال تعالى :-﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الرعد:٣٥]

وذلك جزاء الصادقين والمحسنين .

ويقول بعض المفسرين : " الذى جاء بالصدق هو" محمد "- ﷺ- ، وصدق به "أبوبكر" – رضى الله عنه - ، وهذا مروى عن مجاهد وقتادة ، ويقول السدى هو: جبريل – عليه السلام - ، والصحيح والراجح أن الآية عامة في الانبياء والرسل والمؤمنين ، فهى عامة حتى يشترك فى هذه الصفة كل الرسل الكرام ، وكل من دعا إلى هذا الصدق عن عقيدة وإيمان من أتباع الرسل – عليهم السلام - ، ويدل عليه قوله - سبحانه وتعالى- :" أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ " .

ولذلك نرى قوله – سبحانه وتعالى - : " هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ " أتت بصيغة الجمع .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما- قال : " وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ " قال: من جاء بلا إله إلا الله، " وَصَدَّقَ بِهِ " يعني: رسول الله -ﷺ- وعن مجاهد أنه قال : والذى جاء بالصدق وصدق به ، قال : " أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا و يشمل كل المؤمنين فإن المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول- ﷺ- أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فإنه جاء بالصدق ، وصدق المرسلين ، وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ، ورسله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم :

" والذي جاء بالصدق" هورسول الله- ﷺ - " وصدق به " قال المسلمون " أولئك هم المتقون " .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : اتقوا الشرك .

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ...﴾ يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا ، ﴿...ذَٰلِكَ جَزَآءُ ﴾ [سورة الزُّمَر:٣٥]

كما قال - عز وجل- في الآية الأخرى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة سورة الأحقاف:١٦] (١) .

فالاسلام يحث ويحض المسلم على الصدق فى جميع أقواله وأفعاله فإن الحيف في الشهادة مثلا يعد من أشنع ألوان الكذب ، فمن الواجب على المسلم أن يَصْدِق في الشهادة ولوكان ذلك على أدنى الناس منه قرابة ، أوأحبهم إليه لا تميل به قرابة ، ولا عصبية ، ولا رغبة ولا رهبة . فتَزْكِيـــة المرشحين مثلا لعضوية مجلس الشورى أو مجلس الشعب ، أو منصب من المناصب العامة يعد لونا من ألوان الشهادة ، فالذى ينتخب المغموط في كفايته ، وأمانته ، فقد كذب وزور ولم يقم بالقسط والعدل ، كما أن التقارير التى يكتبها أى مسئول مثل التقارير التى تكتب في الأشخاص الذين يتقدمون لشغل درجات علمية ، أومناصب قيادية كالقضاء والنيابة والكليات العسكرية ، وهى شهادة يسأل عنها امام الله يوم القيامة إذا ما زور في تقريره وكتب له أشياءً لا يملكها المتقدم لشغل هذا المنصب كما نرى في عصرنا هذا . يقوم بكتابة تقرير يثبت فيه أن هذا المتقدم يملك حيازة لأكثر من عشرين فدانا ، أوحظيرة خيول ، وعقارات ، وعمارات وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئاً . فتلك الأمور تزوير وحيف وجور وظلم لأنه بذلك التقرير ربما يشغل مقعداً كان من الواجب أن يشغله غيره ، فبالتقارير الظالمة يقع الجور والظلم وهومُنَـــافٍ للصدق الذى يجب أن يتخلق به المؤمن .

قـــال تعـــالى : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة النساء:١٣٥]

---

1 - تفسير ابن كثير جـ ٤ ، ص ٣٥- ٥٤.

◘ صفوة التفاسير للصابونى جـ ٣ ، ص ٧٩ – ٨٠ .

وعن أبى بكرة – رضى الله عنه – قال : " قال رسول الله- ﷺ -:
" أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ » .
ثَلاَثًا . قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .
قَالَ « الإِشْرَاكُ بِاللَّه ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ » .
وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ « أَلاَ وَقَوْلُ الزور » .
قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ (١).

إن التزوير كذب كثيف الظلمات . إنه لا يكتم الحق فحسب ، بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل ، وخطره على الأفراد في القضايا الخاصة ، وخطرة على الأمم في القضايا العامة شديد مُبيد .

ومن ثم خوّف رسول الله - ﷺ - منه على هذا النحو الصارخ ، وعلى أرباب الحرف والصناعات ، أن يجعلوا من كلمتهم قانونا مرعى الجانب يقضون عنده ، ويستمسكون به ، فإنه لمن المؤسف أن تكون الوعود المخلفة ، والحدود المائعه عادة مأثورة عن كثير من المسلمين ، مع أن دينهم جعل الوعود الكاذبة أمارة النفاق . وقد كان رسول الله - ﷺ - يقدس الكلمة التى يقول ، ويحترم الكلمة التى يسمع ، وكان ذلك شارة الرجولة الكاملة فيه ، حتى قَبْل أن يُرسل إلى الناس .

فعن " عبد الله بن أبى الحمساء "قال:" بايعت النبي- ﷺ - ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه.

فقال : " يا فتى لقد شققت علي أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك " (٢) .

وحدث أن الرسول ، وعد جابر بن عبد الله بعطاء ، فقال جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -
« لَوْقَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ثَلاَثًا » .
فَلَمْ يَقْدَمْ مَالُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِى بَكْرٍ أَمَرَ مُنَادِياً فَنَادَى مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ النَّبِىِّ - ﷺ - دَيْنٌ أَوعِدَةٌ فَلْيَأْتنى .
قَالَ جَابِرٌ فَجِئْتُ أَبَا بَكْرٍ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ النَّبِىَّ - ﷺ - قَالَ « لَوجَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ثَلاَثًا » . قَالَ فَأَعْطَانِى .

1- رواه البخارى .
2- رواه ابوداود.

قَالَ جَابِرٌ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَسَأَلْتُهُ ، فَلَمْ يُعْطِنِ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَلَمْ يُعْطِنِ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّالِثَةَ فَلَمْ يُعْطِنِ ، فَقُلْتُ لَهُ قَدْ أَتَيْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِ ، ثُمَّ أَتَيْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِ ، ثُمَّ أَتَيْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِى، فَإِمَّا أَنْ تُعْطِيَنِ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْخَلَ عَنِّى .

فَقَالَ أَقُلْتَ تَبْخَلُ عَنِّى وأَىُّ دَاءٍ أَدْوأُ مِنَ الْبُخْلِ – قَالَهَا ثَلاَثًا– مَا مَنَعْتُكَ مِنْ مَرَّةٍ إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَكَ .

وَعَنْ عَمْرٍو عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِىٍّ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ جِئْتُهُ ، فَقَالَ لِى أَبُو بَكْرٍ عُدَّهَا .

فَعَدَدْتُهَا فَوَجَدْتُهَا خَمْسَمِائَةٍ ، فَقَالَ خُذْ مِثْلَهَا مَرَّتَيْنِ . أطرافه [1] .

أنظر أخى المسلم كيف تُوزَن الكلمة ، ويوجب تنفيذها حتى لا تذهب هباءً مع اللَّغو الضائع ، على أن الوعود الكاذبة ليست فقط كلاما يذهب سُدى ولكنها خرق للمصالح، وإضرار بالناس ، وإهدار للأوقات ، وليس صدق الوعد خلة تافهة ، إنها محمدة ذكرها الله – عز وجل – في مراتب النبوة قال تعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [سورة مريم:٥٤:٥٥]

وسرد الصفات على هذا النحو والترتيب يدلك على ما لصدق الوعد من مكانة ، ولقد كان " إسماعيل " – عليه السلام –أصدق الناس وعدا حين قال لأبيه : " ستجدنى إن شاء الله من الصابرين " .

لما قال له أبوه : ﴿....إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ....﴾ [سورة الصافات:١٠٢]

وقد يندفع الإنسان إلى الكذب حين يعتزر عن خطأ وقع فيه ، ويحاول التملص من عواقبه ، وهذا غباء وهوان ، وهوفرار من الشر إلى مثله أوأشد والواجب أن يعترف الإنسان بغلطه ، فعلل صدقه في ذكر الواقع ، وألمسه لما بدر منه يمسحان هفوته ، ويغفران ذلته ، ومهما هجس في النفس من مخاوف – إذا قيل الحق – فالأجدر بالمسلم أن يتشجع ، وأن يتحرج من لوثات الكذب ، قال رسول الله– ﷺ –:

" تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فيه ، فإن فيه النجاة " (٢) .

1- رواه البخارى .
2- رواه ابن ابى الدنيا

وقال- ﷺ -: " إذا ما كذب العبد تباعد الملك عنه من نَتِنَ ما جاء به " (١) .

والصدق في الاقوال يتأدى بصاحبه إلى الصدق في الأعمال ، والصلاح في الأحوال ، فإن حرص الإنسان على التزام الحق فيما ينطق به يجعل ضياء الحق يسطع على قلبه ، وعلى فكره ولذلك يقول الله – سبحانه وتعالى - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب:٧٠:٧١]

والعمل الصادق هوالعمل الذى لا ريبة فيه لأنه وليد اليقين ، ولا هوى معه لأنه قرين الاخلاص ، ولا عوج عليه لأنه نبع من الحق ، ونجاح الأمم فى أداء رسالتها يعود إلى جملة ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة .

فإن كانت ثروتها من صدق العمل كبيرة ، سبقت سبقاً بعيداً ، والا سقطت في عرض الطريق ، فإن التهريج واللغط ، والادعاء والهزل ، لا تغنى قليلا عن أحد .

وفي فضيلة الصدق يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحُجُرات:١٥]

والمعنى : إنما المؤمنون الصادقون في دعواهم الإيمان ، هم الذين صدقوا الله ورسوله ، فأقروا الله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة وذلك عن يقين راسخ وايمان كامل ، ثم لم يشكوا ، ولم يتزلزلوا في ايمانهم ، بل ثبتوا على التصديق واليقين ، وبذلوا أموالهم في سبيل الله ، وابتغاء رضوان الله تعالى .

فأولئك الذين صدقوا في إدعاء الإيمان ، وقد وصف الله تعالى المؤمنين الكاملين بثلاثة أوصاف وهى :

- ☒ الصفة الاولى : التصديق الجازم بالله .
- ☒ الصفة الثانية : عدم الشك والارتياب .
- ☒ الصفة الثالثة : الجهاد بالمال والنفس .

فمن جمع هذه الأوصاف فهوالمؤمن الصادق .

يقول "ابن كثير": " إنما المؤمنون الكمل " الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ".

1- رواه الترمزى .

أي لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة هي التصديق المحض" وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله"أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه .

" أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ " .

أي في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة .

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال : إن النبي- ﷺ - قال : " المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء :

أولا، الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

ثانيا ، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

ثالثا ، والذي إذا أشرف على طمع تركه لله عزوجل" .

وقوله - سبحانه وتعالى- : ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ....﴾ [سورة الحُجُرات:١٦]

أي أتخبرونه بما في ضمائركم . " والله يعلم ما في السموات وما في الأرض " .

أي لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. "والله بكل شيء عليم " .

ويقول الله تعالى :" يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم " . والمعنى : يمنون عليك أن اسلموا ، ويعنى بذلك الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول - ﷺ - .

وقد وردت هذه اللَّفظة في القرآن الكريم عشر مرات،ست آيات في سورة " التوبة " وآياتان في سورة " الفتح " ، وآية في " الحجرات "والعاشرة في سورة " الأحزاب " .

وقد أجمع المفسرون أن المراد بالاعراب هم سكان البوادى الذين يتفردون بالغلظة وجفاء الطبع ، وقساوة الافئدة ، ولذلك لم يبعث الله فيهم نبيا ولا رسولاً ، بل كانت البعثة في أهل القرى .

يقول الله -سبحانه وتعالى- : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة يوسف:١٠٩]

وقال -ﷺ-: " من سكن البادية جفى " .

هؤلاء الإعراب الذين يمنون بإسلامهم ونصرهم على الرسول- ﷺ - فيقول الله ردا عليهم . " قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم " .

فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم ، ولله المنة عليكم فيه ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين في دعواكم مثل ما قال النبى- ﷺ - للأنصار يوم " حنين " : " يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضِلالاً فهداكم الله بي ؟وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي ؟ " .

فكلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت بنوأسد إلى رسول الله- ﷺ -.

فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك .

فقال رسول الله- ﷺ -:" إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم " .

فنزلت هذه الاية :﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الحُجُرات:١٧]

فالمراد : أن هؤلاء يعدون إسلامهم منة على سيدنا محمد - ﷺ - يستوجبون عليها الحمد والثناء ، فقل لهم : " لا تمنوا عَلَيَّ إسلامكم " .

فإن نَفْعَ إسلامكم يعود عليكم ، ولله المنة العظمى عليكم ، وذلك بالهداية للإيمان ، والتثبيت عليه ، إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان [1] .

ويقول الله فى فضيلة الصدق :-﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الحديد:١٩]

والمعنى : تلك خاصية هذا الدين ، وميزته . إنه طريق مفتوح لجميع البشر وأفق يتطلع إليه الجميع ، ليس فيه احتكار للمقامات وليس فيه خصوصيات محجوزة لناس بأعينهم ، وليس إلاَّ العمل يصعد بصاحبه إلى ارقى الدرجات ؟

إنه دين لا مجال فيه للطبقات المحفوظة المقام . فقد روى الامام " مالك " في " الموطأ " عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار : " قال :" إن أهل الجنة ليتراؤن أهل الغرف من فوقهم كما تتراؤن الكوكب الدرى الغابر في الأفق من المشرق أوالمغرب ، لتفاضل ما بينهم " . قالوا يا رسول الله : " تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم .

قال: " بلى ، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين " فهذه لمسة الإيمان .

1- تفسير ابن كثير جـ ٤ ، ص ٢١٩ وما بعدها بتصرف .

◘ صفوة التفاسير للصابونى ، جـ ٣ ، ص ٢٣٨ بتصرف .

ويقول بعض المفسرين:"والذين آمنوا برسله إيماناً راسخاً كاملاً لا يخالجه شك ، ولا ارتياب أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم الذين جمعوا أعلى المراتب فحازوا درجة الصديقية .

ويقول الله تعالى فى فضيلة الصدق :- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحشر :٨]

والمعنى : يقول الله تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الغنى والغنائم ، الذين خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضات الله ورضوانه .

هؤلاء هم الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين [١] .

وهذه الآية تتعلق بالآية السابقة التى تحكى حكم الفئ كأنه يقول : " الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء المهاجرين الذين ألجأهم كفار مكة إلى الهجرة من أوطانهم ، فتركوا الديار والأموال ابتغاء مرضات الله ورضوانه وهم يقصدون بهجرتهم هذه إعلاء كلمة الله ونصرة دينه ، وتأييد رسول الله - ﷺ - فهؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الحميدة هم الصادقون في ايمانهم .

يقول " قتادة " – رضى الله عنه – هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهل والوطن حبا لله ورسوله ، حتى إن الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع . فؤلاء هم الصادقون في الإيمان الفارون بدينهم من الأوطان في سبيل الله ونصرة دينه ، وتأييد نبيه- ﷺ - ذلك هو الصدق الحق في القول والعمل ، فإن أفعالهم كانت دليلاً حاسماً على صدق ايمانهم ، وثبات عقيدتهم ورباطة جأشهم ، وتضحيتهم بكل غالٍ ومرتخص في سبيل هذا الدين العظيم ، الذى عم الكون نوره ، وأضاء الدنيا بالحق والعدل والخير ، والحب ، والصدق ، والجمال . إنه الإسلام [٢] .

---

1 - فى ظلال القرآن الكريم ، جـ ٦ ، ص ٣٤٩٠ بتصرف .
- تفسير البحر المحيط .
- تفسير مختصر ابن كثير .
- تفسير الخازن .

2 - تفسير القرطبى جـ ١٨ ، ص ١٩ – ٢٠ بتصرف .
- تفسير الخازن جـ ٤ ، ص ٦٢ .
- صفوة التفاسير جـ ٣ ، ص ٣٥١ بتصرف .
- تفسير ابن كثير جـ ٤ ، ص ٣٣٧ بتصرف .
- خلق المسلم للمغفور له الشيخ محمد الغزالى جـ ٣١ وما بعدها بتصرف .